الصيحة الجديدة (*)

للأستاذ عبد الرحمن العيسوى

سيداتى وسادتى

لم يخل هذا الوطن دائما — فى أشد عصور ضعفه — من شعلة تضىء ظلام الضعف وبصيص ضوء يذكى أمل المتفائلين ، وصيحة مخلصة توقظ النائمين ، ويكاد عصر النهضة المصرية الحديثة ينتقصه شيوع الجهل والمرض والفقر فى أمتنا العزيزة . بل يشهد هذا التاليوث بنا عن تقدمنا ، وقد تصايح شباب الجيل المصلحون ، صيحة اليقظة والامتنجاد وظلت هذه الصيحة تتجاوب وتتردد وتتضخم ، بغية تحرير المصريين من الظلام الرابض على آفاق نهضتهم ، والكابوس الجاثم فوق صدر حضارتهم .

واذا كان بدء وزارة الشؤون الاجتماعية بدءا موفقا فى محاربة الأمية ونشر الثقافة الشعبية ، أثرا طيبا لهذه الصيحة الجديدة المخلصة من جمهرة الشباب الوطنيين المخلصين يقينا منهم ومن الوزارة بأن محاربة الجهل عامل أساسى بالغ القيمة فى القضاء على الفقر وعلى المرض ، ويجئ دور ثان فى هذا الكفاح الوطنى النبيل هو مساهمة الأمة ، شبابها الممتاز وجمهورها المتعطش ، فى انجاح القصد وبلوغ الغاية .

أما الشباب المتعلمون فليتعاونوا مع الوزارة على جهودها تعاونا إيجابيا للدعوة الى الاقبال على الفرصة المتاحة للأميين ، حتى ترقى بهم الثقافة الميسرة لهم ، وتعاونا بالمساهمة العملية فى هذه الجهود المبذولة لغرض الاصلاح والقيود ، ليتيسر لنا أن نضمن النتائج ونختزل الزمن .

حضرات السيدات والسادة :

فضل العلم فى ذاته بدهية لا تحتاج الى براهين وحسب العلم أن القرآن الكريم يقول فيه عشرات الآيات تمجيدا للعلم وتفضيلا للمتعلمين .

(قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ، (وما يعقلها إلا العالمون) ، (وإنما يخشى الله من عباده العلماء) ، والعلماء هنا لا يقصد بهم الفقهاء وإنما العلماء بحقائق الوجود (إن فى ذلك لآيات للعالمين) .

(*) أذيعت فى البرنامج الثقافى لاذاعات الوزارة .

وحسب العلم أن المرشد الاجتماعى الأول والمصلح الأعظم المؤيد محمدا صلى الله عليه وسلم يقول (أطلبوا العلم ولو فى الصين) و (واطلبوا العلم من المهد الى اللحد) و (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) .

من ذلك يتبين أن السن المتقدمة لا يجوز أن تكون مانعا من طلب العلم استحياء أو تكاسلا ولا يجوز أن تكون المشقة مهما بلغت حائلا دون طلب العلم ولا يجوز الاشتغال بأمور المعاش عقبة فى سبيل أداء فريضة التعلم .

ومن ذلك يتبين أن اختيار وزارة الشؤون الاجتماعية هذا الأسلوب فى انهاض الجماعة المصرية ، وتحرير الشعب من أغلال الفقر والمرض والجهل، هو الأسلوب الصحيح السليم فى نظر الدين والتجربة ومنطق الحياة نفسه ، فليس يصح بدن رجل يجهل قواعد الصحة ولا يبرأ مريض يجهل أن عليه أن يتطلب ولا يعلو مستوى معيشة جاهل بحقوقه وواجباته ، قاعد لجهله عن السعى فى تحسين حاله وحال طبقته بالوسائل التى ييسرها له التعلم. والآفاق الفسيحة التى يفتح عينيه عليها الادراك والمعرفة .

إن لكل بلد يا حضرات السادة ظروفه التى تجب ملاحظتها عند الشروع فى اقامة نهضته وان أول الأشياء فى بلدنا وأولاها بالالتفات هو هذا الجهل والظلام المتكاثف الجهل بكل شىء، الجهل باللياقة ، الجهل بالدين ، الجهل بالاقتصاد البسيط ، الجهل بقواعد الصحة الجهل بما يعلو عن هذا المستوى من أساليب المعرفة . الجهل بنظريات علم الاجتماع فى تنسيق حياة الجماعة وتحديد صلاتها وتحقيق تجانسها ونهوضها ، الجهل بالقوانين ، الجهل بالأنظمة العرفية الاجتماعية فى مختلف حياة الجماعات ، ووسيلة العلم بهذا كله هو معرفة القراءة والكتابة ، لأنها تيسر للقارئ الكاتب أن يقرأ و يعرف و يفهم و يتطور ذهنه واتجاهه ، تطورا يحقق صالحه وصالح الجماعة التى يعيش فيها .

لقد كان زمان يخشى فيه من نشر العلم بين المصريين حتى لا تتفتح عيونهم على حقوقهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والوطنية ثم مضى هذا الزمان ، وفكر المصلحون والحكام فى النهوض بالجماد بشعبهم ومواطنيهم فلم يختلفوا على الوسيلة ، بل اجتمعوا على أن محو الأمية هو خير الوسائل وأجداها وأصحها .

سيداتى سادتى .

إن الرجل المتعلم ، القارئ ، الكاتب ، يعلو مستواه و يرتفع قدره فى نظر نفسه ونظر الناس ، وهذه سنة الحياة والطبيعة . فهذا المتعلم لن يرضى لنفسه أن يعيش فى ظل التواكل وهو يحسبه توكلا ، والخنوع وهو يحسبه قناعة ، والظلم وهو يحسبه تسليما واختيارا .

لن يرضى المتعلم لنفسه — بفضل التعليم — أن يكون فى مستوى البهائم ، وسيرتفع بذاته وبطبقته — بفضل التعليم — إلى المستوى اللائق بالكائن البشرى ، بل إلى المستوى الإنسانى المنشود لأبناء الانسانية . . . سيتخلص من أسباب المرض بالوقاية منها ، بفضل ما تعلمه ، وسيتخلص من المرض فى نفسه وفى أسرته بالتطبب والعلاج ، بفضل ادراكه الواجب عليه نحو نفسه ونحو وطنه وقومه. وسيتخلص من الفقر فسيعرف كثيرا من أسباب التخلص منه ، سيعرف الأساليب المهنية المساعدة على الانتاج الجيد والوفير فى عمله أيا كان عمله — وسيعرف الأسباب المحققة لتربح الأكثر وسيعرف من قواعد الاقتصاد وأصوله ما يهيىء له حياة اقتصادية أرقى وأسعد .

وسيعرف واجب الجماعه نحو نفسها ، فتصوروا جماعة أى شعبا كله فاهم واجبه وكل فرد فيه متعلم ما عليه وما له . انها تكون جماعة سعيدة بالمعنى الصحيح الكامل لأنها ستدرك أن خيرها وارتقاءها وتقدمها المادى والأدبى منحصر فى أن تتكاتف على سلامة أفرادها وتوفير راحتهم .

إن التفاوت بين الناس أيها السادة مصدره الأول هو الجهل ، الجهل هو الذى يباعد بين نفوس أهل البلد الواحد ويفرق بين اتجاهات عقولهم وأرواحهم ، وينفر الفاهم من غير الفاهم . ويخلق شعورا بالأفضلية عند قوم . وشعورا بالهوان والضعة عند آخرين . فاذا حطمنا الجهل وهو مانحن واصلون إليه إن شاء الله (فقد عزمنا وتوكلنا) حطمنا إذن أسباب التفاوت الفظيع ، ولم يبق إلا التفاوت الذى تقتضيه طبيعة نظام الجماعات فى الدنيا كلها والتاريخ كله والأديان جميعها .

حضرات السادة والسيدات :

ان الفلاح المتعلم هو ناخب سليم الادراك ، صحيح الاختيار ، وهو صانع مجيد وافر الإنتاج ، وهو زوج صالح ، ووالد يحسن القيام على أسرته ، وهو اطن نافع قوى سليم من العلل ميسر العيش ، وإن الصانع المتعلم ، تعاونى نقابى ممتاز ... وسوف لا تقتصر وزارة الشئون الإجتماعية فى مكافحة الأمية على تعليم الناس الهجاء والمطالعة ، ولكنها تنشر فى هؤلاء الناس — قبل المكافحة وأثناء المكافحة وبعد المكافحة — الثقافة الشعبية الضرورية لهم فى حياتهم الإجتماعية بفروعها . المهنية والعائلية والشخصية والوطنية والإقتصادية .

إن الدليل البليغ الواضح على أن العلم أساس كل إصلاح ودعامة كل نهضة . ماثل فيما قدمت لكم من مثال . وماثل أكثر وأكثر فى أن محمدا صلى الله عليه وسلم بدأت رسالته بقول الله تعالى له (إقرأ) فقال ما أنا بقارئ . فغطه الملك، أى ضمه ، حتى أتعبه الضم، فمنح بهذا الضم على سبيل المعجزة موهبة القراءة وقيل له (إقرأ باسم ربك الذى خلق) فبدأت رسالته صلى الله عليه وسلم بأمره بالقراءة . إذ أن القراءة أساس الإدراك والفهم والمعرفة ، وسبيل الإرتقاء والنهوض والتقدم .

أيها المصريون . أيها الشباب المتعلم . . ساهموا فى خدمة مجتمعكم وحطموا هذا الخصم العنيد القديم لنهضة وطنكم — الجهل — وعاونوا جهود وزارة الشئون الإجتماعية ، فانشروا المعرفة معها بكل وسائل النشر ، وليس من الضرورى أن يكون ذلك فى موعد بعينه ومدرسة بعينها ، بل فى النوادى والمقاهى والمجالس الخاصة والعامة .

أنشروا الثقافة والفهم إن يكن نشر التعليم يقتضيكم أسبابا ليست ميسرة لكم فعاونوا بذلك الجهد جهد وزارة الشئون الإجتماعية لتساهموا فى بناء الوطن الجديد .

أيها المصريون . . أذكروا أنكم أصحاب أقدم مدنية فى التاريخ . وأنكم كنتم فى الذروة من العلم والفن عندما كانت الإنسانية ماتزال تتخبط فى ظلام الجاهلية الأولى . فعليكم الآن أن تنهضوا من جديد لتعملوا حاضركم بماضيكم البعيد ولتتبوأوا المكان اللائق بكم بين الأمم .

ومن حسن الطالع و بشريات النجح أن على رأسكم ملكا شابا يكرم العلم والعلماء . فسيروا تحت لوائه نحو المستقبل المشرق الجدير بمن ورثوا مجد وحضارة العرب . كونوا ياشباب مصر طليعة فى مواكب الأمة .

عبد الرحمن العيسوى